



## سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ  
الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ (209)﴾

شرح الكلمات:

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ : وقعتم في الزلل وهو الفسق والمعاصي. الزلة هي المعصية.  
﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ : المعجرات الظاهرات، والآيات الواضحات

المعنى الإجمالي :

فقد تضمنت أعظم تهديد وأشد وعيد لمن أزله الشيطان فقبل بعض شرائع الإسلام ولم يقبل البعض الآخر، وقد عرف أن الإسلام حق، وشرائعه أحق فقال تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ يحمله كتاب الله القرآن ويبينها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله سيقم منكم؛ لأنه تعالى غالب على أمره حكيم في تدبيره وإنجاز وعده ووعد.

فإن ملتزم عن الحق وابتعدت عن الإسلام من بعد ما جاءكم الآيات الواضحات والحجج البينات، فاعلموا أن الله غالب على أمره ولا يعجزه الانتقام منكم، حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخاة المذنب.

2

والمعنى العام للآية: فإن تحيتم عن طريق الحق، وعدلتم عنه إلى الباطل، من بعد أن ظهرت لكم الأدلة المفرقة بين الصواب والخطأ، والتي تدعوكم إلى اتباع طريق الحق، فاعلموا أن الله عزيز لا يقهر ولا يعجزه الانتقام من من زل حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة وإنما يضع الأمور في مواضعها.

وربما قال الوالد لولده: إن عصيتي فأنت عارف بي وأنت تعلم قدرتي عليك وشدة سطوتي. فيكون هذا الكلام - في الزجر - أبلغ من ذكر الضرب وغيره.

فظهر تسبب الجزاء في الآية بما أشعر به من الزجر والتهديد على الشرط المشير إلى ذنبهم وجرمهم. أي إياكم أن تظنوا أنكم بزللكم أخذتم حظوظ أنفسكم من الله، فإن مرجعكم إلى الله وهو عزيز وعزته سبحانه هي أنه يغلب ولا يغلب، فهو يدبر أمورنا برحمة وحكمة.

ولقد رحم الله الخلق بإرسال الرسل لينبأوا للإنسان الطريق الصحيح من الطريق المعوج.

من ذا الذي لم تصدر منه زلة؟ ومن الذي لم يقع منه هفوة؟ ومن لم يقع في معصية؟ وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم:

((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وخاء يقوم بذنوب فيستغفرون الله فيغفر لهم))

[رواه مسلم في صحيحه].

ولقد صوّر ابن مسعود رضي الله عنه حال المؤمن مع المعصية تصويراً بليغاً دقيقاً فقال: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به بيده فطار).

3

للمعصية أثر ظاهر لمن تأمل وأشار الله بصيرته، دل على ذلك النصوص الشرعية والواقع المشاهد.

فمن هذه الآثار:

1- حرمان العلم، فهو نور يقدسه الله في القلب والمعصية تطفئه، قال مالك رحمه الله للشافعي لما رأى فطنه وذكاءه: "إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية".

2- ومن الآثار حرمان الرزق كما في الأثر: ((إن العبد ليجرم الرزق بالذنوب بصية)) أحمد.

3- ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه، بينه وبين الله، وبينه وبين الناس، وكلما قويت هذه الوحشة بعد عن مجالسة أهل الخير وقرب من حزب الشيطان وأهله.

4- ومنها تعسر الأمور فكما أن من يتق الله يجعل له من أمره يسراً فيخافه من عصى الله.

5- ومنها ظلمة يجدها العاصي في قلبه تقوى هذه الظلمة حتى تظهر على الوجه إبراهيمي أحد قال ابن عباس: (إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القبر والقلب).

6- ومنها حرمان الطاعة.

7- ومنها أن المعصية تورث الذل، فبأي الله إلا أن يذل من عصاه من كان يريد الله فله العزة جميعاً.

8- ومنها سوء الخاتمة، فإن العبد قد يخونه جوارحه أحوج ما يكون إليها، وأعظم من ذلك أن يخونه قلبه ولسانه عند احتضاره وقرب وفاته.

4

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ  
الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (193)



قوله من تفسير سورة البقرة الآية 209

تهدى ولا تباع

ولا تسونا من صالح دعائكم

أعداه (عزمي إبراهيم عزمي)

1

11-الذين يحثرون الذنوب فقد يشعر أحدهم بالندم ويعزم على التوبة، لكنها عزيمة باردة ضعيفة سرعان ما تنهار مرة أخرى أمام دواعي المعصية.

12-إن استعظام الذنوب يولد عند صاحب الذنب الاستغفار والندم والتوبة، أما أولئك الذين يحثرون الذنوب فإنهم وإن عزموا على التوبة كانت العزيمة باردة، لأن داعي التوبة ضعيف.

13-ما أحسن ما قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "اعلم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من أعظم عمود الدين لأنهما حصول مصالح الدنيا والآخرة فإن كانا قائمين قام بقيامهما سائر الأعمدة الدينية والدنيوية. أما إذا كان هذان الركبان العظيمان غير قائمين إلا قياماً صورياً لا حقيقياً فيالك من بدع تظهر، ومن منكرات تستين، ومن معروف يستخفي ومن جولان العصاة وأهل البدع تقوى وترتفع، ومن ظلمات بعضها فوق بعض تظهر في الناس، ومن هرج ومرج في العباد يزل للعبان وتقر به عين الشيطان، عند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة، والعاصي كالذئب المفترس، وهذا بلا شك ولا ريب يحجج رسوم هذا الدين، وحينئذ يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً ويعود الدين غريباً كما بدأ". اهـ.

14-علاج المعاصي

1-الخوف من الله تعالى.

2-صدق التوجه إلى الله وسؤاله الهداية.

3-مجاهدة النفس وقطعها عن شهواتها.

4-العزيمة الصادقة على مفارقة المعاصي.

5-الإكثار من النوافل والطاعات.

6-مجالسة الأخيار.

7-أخي المسلم : لا تنس أن أفتح عيب للمعاصي، أن العاصي معاند لربه سبحانه.. متمرد على طاعته ! فلنجعل أخي المسلم طاعة الله شعاراً في حياته.. حتى تفوز بالخيرات في الدنيا والآخرة .

والله اعلم .... وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

6

الفوائد :

1-الزلل المراد هنا عدم الثبات على طاعة الله ورسوله بفعل الأمر وترك النهي بتزيت الشيطان ذلك للعبد حتى يقع في الضرر.

2-وجوب توقع العقوبة عند ظهور المعاصي العظام لتلا يكون أمن من مكر الله. إذ حصول الأمن لازمه الاستمرار على المعاصي وعدم التوبة، والله يقول: ﴿أَقْبَلُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُرُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

3-ما من مستحل حراماً، أو تارك واجباً إلا وهو متبع للشيطان في ذلك.

4-تحذيرهم من اتباع الشيطان والسير في ما يزينه وتبنيه إلى أنه علو شديد العداة هم لا يمكن أن يوسوس إلا بما فيه إثمهم وضررهم.

5-وقوله: (من بغد ما جاءكم البينات) قطع لعذرهم حتى لا يقولوا يوم الحساب إننا زلنا لأننا لا نعرف الحق من الباطل.

6-أن عقوبة العالم بالذنوب أعظم من عقوبة الجاهل به.

7-أن الإسلام الذي دعيت إليه هو الحق.

8-ما أصاب الناس من ضرر وضيق في كل مجال من المجالات فردياً كان أو جماعياً إنما بسبب معاصيهم وإهمالهم لأوامر الله عز وجل، ونسيانهم شريعته.

9-اقتضت حكمة الله تعالى واتصافه بصفات المغفرة والرحمة أن يقع العباد في الذنوب والآثام، ثم يرجعون إلى الله فقبلت تائبين فيغفر لهم ويتجاوز عنهم مئة وكرمه، ولو شاء الله لآمن من في الأرض أجمعين ولهدى الناس كلهم، لكن حكمته اقتضت أن يملأ الجنة والنار من خلقه.

10-المؤمن الصادق في إيمانه مع ذلك كله يدرك خطورة المعصية وشاعتها وأنها جرأة على مولاه، فإذا وقع فيها تحت ضعف بشري واقعها موافقة ذليل خائف يتنمى ذلك اليوم الذي يفارق فيه الذنب ويتخلص من شؤم المعصية.

5